بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين ﷺ.

أما بعـــد.....

فقد سألني من تعينت عليّ إجابته ديانة ومحبةً أن أكتب له نصيحةً لطيفةَ المبنى كثيرةَ المعنى تستعمل كالأصول التي يمضي بها قُدماً، فيَسترشدُ بها اللبيب، ويتنبه بها الشريد؛ تتعلق بما يجب على المسلم الحريص على دينه وديانته في الوقت الحاضر.

حيث أن القاصي والداني يستشرفان واقعاً شديداً وتمحيصاً عتيداً وفتنة فريدة قد تجعل الحليم حيراناً والمستفيق سكراناً.

ودون الدخول في مقدمات طويلة لتوصيف الواقع، حيث أن الواقع الحالي وما فيه من ملابسات قد أصبح من أوضح الواضحات لكل ناظر من كون سنن الله تعالى الكونية تتهيأ لاستظهار ما هو جلل في هذا العالم عموماً والإسلامي والعربي منه خصوصاً.

فنقول وبالله التوفيق...

أنصح نفسي وإياك أيها الكريم بما هو آتٍ: -

أولاً: التوبة والاستغفار عن الزلل والنقص والعجز لذنب أصبنا أو لعدم كمالية العمل الذي يستحقه رب السماوات والأرضين؛ واعلم أن جميع الخلائق يدخلون بقدر ما تحت قوله تعالى "وما قدروا الله حق قدره" إلا من عصم الكريم ممن اصطفى؛ فالواجب على كل مسلم عالماً كان أو جاهلاً، مجتهداً كان أو مقلداً أن

يسارع بالتوبة ويكثر الاستغفار، ويثلث بالصلاة على النبي ﷺ، ويربع بعموم الذكر ويخص منه ما كان مخصوصاً بوقت معين أو فضل مبيّن كأذكار الصباح والمساء ودبر الصلوات ونحوها.

ثانياً: القرآن حبل الله المتين، وفرج الله للمكروبين، وسعد الله للبائسين، ورشد الله للغافلين؛ فهو كلامه سبحانه وتعالى، من حافظ عليه قراءة ونظراً وتأملاً فاز، ومن هجره بنوع هجر أصابه التيه والحيرة بقدر تركه؛ فمن تمسك به اهتدى، ومن أحسن إليه أُحسن إليه، وفرعُ هذا قراءة تفسير مختصر لإعانة الناظر على التدبر وحسن التفكر.

ثالثاً: السُّنة هدى وهدي؛ فاجعل لك وِرداً من سنة النبي ﷺ قراءة أو سماعاً، والجمع بينهما حسن.

فإن الناظر في السنة بمجموعها يحيى مع أصحاب النبي ﷺ ويعتاد لغتهم حتى يفهم طريقتهم.

وأُعيذك بالله من الجرأة على الفتيا ولو لنفسك لكونك تقرأ السنة، فليس كل قارئ ناظراً مجتهداً، أو يحق له الاجتهاد إلا بأدوات مُعِينة على ذلك قد أقرها أهل العلم وأصلّوا لها.

رابعاً: كن مجاهداً... تلك الكلمة التي ضيعها أقوامٌ وخذلها آخرون فحصروها في معنى خاص.

والأمر ليس كما ذهبوا له، فإن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام وإن كان قد يُفهم منه عند الإطلاق الجهاد الذي هو بالسيف والسنان أو ما يقوم مقامهما إلا أن كثيراً من المعاني قد تدخل في هذا اللفظ الشرعي المهيب.

فكان حال النبي ﷺ قبل تشريع الجهاد - بالمعنى الخاص - له في جهاد من أنواع أُخر.

إذ الجهاد بالمعنى الخاص **كان نتيجة ولم يكن مقصوداً لذاته**، بل شُرِع لمعنى معقول معلوم، وقولنا "**نتيجة**" لأنه يلزم أن يسبقه نوع علم وإن لم يكن لجميع المجاهدين، إلا أنه يجب أن يبلغ المجاهدون قدراً معيناً من العلم الخاص به، خاصة ممن كانوا في منصب الريادة منهم.

وأما قولنا "**ولم يكن مقصوداً لذاته**" فلأن الأحكام الشرعية منها ما هو معقول المعنى، ومنها ما ليس كذلك وهو التعبدي المحض.

فأما المعقول منها فمنه ما شُرِع لذاته كالتوحيد، ومنها ما شُرِع لغيره كمطلق الصدقة، والجهاد.

فإن الجهاد ليس مقصوداً لذاته باعتبار قصد القتل والقتال لنفسيهما، بل المقصد منه حفظ دين المسلمين وما تعلق به من وجوب الدعوة ونشر الإسلام وتطبيق حكم الله في خلقه، ثم حماية أهل الكتاب الذميين، ونحو ذلك من الأحكام التي لا تتصور إلا بوجود قوة قتالية تحفظ ما مضى وتقوم عليه.

وعليه: فإن الواجب على عموم المسلمين أن يحدثوا أنفسهم بالجهاد ولا يقتصروا على نوع واحد منه، بل من لم يستطع النوع الأقوى اشتغل بمقدماته، فيبذل كلُّ مستطيع في بابه قدر إمكانه.

خامساً: تريضْ... فإن في الرياضة خير عظيم وتأهيل للنفس على المرونة مع كل متغير؛ ولعلك أيها الكريم تظن بقولي "تريض" الرياضة البدنية الجسمانية التي هي حركات البدن حيث يحدث التأهيل البدني!!!

فهذا المعنى وإن كان حسناً إن أُحتيج إليه إلا أني أقصد بالرياضة معنى آخر، ألا وهو رياضة النفس والقلب والعقل...

فرياضة النفس: بتأهيلها لما هو قادم، ولما هو حال، بأن تعرِف نفسُك أن دوام الحال من المحال، ودوام النعيم من خصائص الجنة؛ فروضْ نفسَك على الترك لما هو من فضول المأكل والمشرب والملبس.

أما القلب: فرياضته في التعلق بالله وكتابه وسنة رسوله ﷺ، وتزيد رياضته بالذكر، وتضعف باليُبس الذي يحصل بترك ذكر الله تعالى.

أما العقل: فرياضته تدور على تقويمه باستذكار ما كتب أهل العلم في معاني الرجولة والسؤدد ونحوهما، ومثل هذا تجده في كتب الكبار من أهل العلم كابن قتيبة في عيون الأخبار، وكذلك ابن عبد البر في بهجة المجالس وأنس المجالس، وغيرها من الكتب.

وهذا التقسيم -النفس والقلب والعقل- إنما هو مبني على التفرقة بين القلب والعقل، أما من لم يفرق بينهما فقد تتداخل المعاني السابقة فلا حرج، والأمر فيه سعة.

وأخيراً أخي الكريم: أرشد نفسي وإياك إلى أمر هام: إياك وترك سبيل العلماء، فإنهم مصابيح الدجى، وعلامات الهدى، ونجوم الدآدئ؛ وقد تختلط عليك معرفتهم خاصة في هذه الأوقات التي يزعم فيها الجميع أنهم أهل لهذا المقام.

ولذلك عليك بهؤلاء الذين إذا رأيتهم ذكرتَ الله إذ جمعوا بين العقل والشرع؛ فلا تثقن بمتكلم كثير الكلام لم يرشدك في طيات كلامه للكتاب السنة ومذاهب الأئمة الذين أجمعت الأمة على هدايتهم ودرايتهم.

ولا تعبأن كذلك بمن يزعم كتاباً وسنة وسلفاً صالحاً، ولا يعرفنّ للعقل سبيلاً، بل ويخلع عقله ويتغافل عن أحكامه، فمثله كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفقت في نصحي، وأُلهمت في مقالي هذا رشدي، فما كان من خير فمن الله العلي الكبير وحده فضلاً، وما كان من سوء فمن الشيطان ومن نفسي... والله أعلم وصلِّ اللهم وبارك على النبي وآله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً.

يوم السبت

22 رجب 1445

3 شباط (فبراير) 2024

محمود أبو حمْدة